سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٩٢)

برنامج الدرس الواحد

تطريز الوصية الصغرى

تصنيف شيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

المتوفى سنة (٧٢٨) رحمه الله تعالى

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى



برنامج الدرس الواحد

تطريز

الوصية الصغرى

سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٩٢)

تطريز

الوصية الصغرى

تصنيف شيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

المتوفى سنة (٧٢٨) رحمه الله تعالى

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يُرجىٰ المراسلة علىٰ البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com

الحمد لله ربِّنا، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعدُ:

فهـذا هو (**الدَّرس العشرون**) من (**برنامج الدَّرس الواحد الأوَّل**)، والكتاب المقروء فيه هو «**الوصيَّة الصُّغرى**»، لشيخ الإسلام أبي العبَّاس ابن تيميَّةَ الحفيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

وقبل الشُّروع في إقرائه لا بُدَّ من ذِكْر مُقدِّمتين اثنتين:

المُقَدِّمَةُ الأُولَى: التَّعْرِيفُ بِالمُصَنِّف

وتنتظمُ في ثلاثة مقاصدَ:

- **المقصد الأوَّل**: جَرُّ نَسَبِه:

هو العَلَّامة بَحْر العلوم شيخ الإسلام أحمدُ بنُ عبد الحليم بنِ عبد السَّلام النُّمَيْريُّ الحَرَّانِيُّ الحنبليُّ، يُكنَى بـ (أبي العَبَّاس)، ويُعرَف بـ (ابن تيميَّة).

وتَقَدَّم أَنَّ زيادة (الحفيد) في لَقَبِه أَنْسَبُ؛ ليَتَمَيَّز عن أسلافِه مِن أهل العِلْم؛ فإنَّ جَدَّه كان عالِمًا، وكذلك كان أبوه رَحِمَهُمَاٱللَّهُ جميعًا؛ فيُقال: (ابن تيميَّةَ الجَدُّ)، و(ابن تيميَّةَ الأَبُ)، و(ابن تيميَّةَ الحفيدُ).

ويُلَقَّب أيضًا بـ (شيخ الإسلام)؛ بحيث إذا أَطْلَقَ المُتَأَخِّرون من الحنابلة هذا اللَّقَبَ لم يكن مُرادًا به إِلَّا هو، رَحِمَهُٱللَّهُ رحمةً واسعةً.

- **المقصد الثَّاني**: تاريخ مولده:

وُلِدَ عاشرَ ربيعٍ الأَوَّل سَنة إحدىٰ وستِّين وستِّمائة (٦٦١).

- **المقصد الثَّالث**: تاريخ وفاته:

تُوفِّي رَحِمَهُٱللَّهُ في العشرين من ذي القَعْدة، سنةَ ثمانٍ وعشرين وسَبعمائة (٧٢٨)، ولَهُ من العُمر سبعٌ وستُّون سنةً؛ فَرحمه الله رحمةً واسعةً.

المُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ: التَّعْرِيفُ بِالمُصَنَّفِ

وتنتظم في ثلاثة مقاصدَ أيضًا:

- **المقصد الأوَّل**: **تحقيق عنوانه:**

ذَكَر هذه الرِّسالةَ ابنُ رُشَيِّقٍ - تلميذ شيخ الإسلام - في كتابه الَّذي جمَع فيه أسماء مؤلَّفات الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسَمَّاها: «وَصِيَّةٌ لأبي القاسمِ يُوسُفَ التُّجِيبيِّ السَّبْتيِّ».

وذَكَر قبلَها وَصِيَّةً أخرى بِاسْم: «وَصِيَّةٌ للتُّجِيبِيِّ»؛ فلعَلَّها هي.

وعُرِفَت بـ«الوَصِيَّة الصُّغرى»؛ تَمييزًا له عن «الوَصِيَّة الكبرى»، الَّتي كَتَب بِها أبو العبَّاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى إلى أَتْباع الشَّيخ عَدِيِّ بن مُسافِرٍ.

فصار لأبي العبَّاس وَصِيَّتان اثنتان:

- **إحداهما**: «الوَصِيَّة الصُّغرى»؛ وهي هذه الَّتي كَتَبَها لأبي القاسمِ.
- **والأخرى**: «الوَصِيَّة الكبرى»؛ وهي الَّتي كَتَبَها لأتباع الشَّيخ عَدِيِّ ابن مُسافرٍ من أهل العراق.

- **المقصد الثَّاني**: **بيانُ موضوعه:**

هذه الرِّسالة هي جوابٌ عن سُؤالٍ تَضَمَّن أربعةَ أمورٍ:

أَوَّلها: طَلَبُ السَّائلِ الوَصِيَّةَ بما يكون فيه صلاحُ دينِه ودُنياه.

والأمر الثَّانِي: رغبتُه في إرشـادِه إلى كتابٍ يكون عليه اعتمادُه في عِلْم الحديث، وكذلك غيرُه من العلوم الشَّرعِيَّة.

والأمر الثَّالث: تَنبيهُه إلى أفضلِ الأعمال الصَّالحة بعد الواجبات.

والرَّابع: بيان أَرْجحِ المكاسب.

وقد جاء جواب أبي العبَّاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مُتَضَمِّنًا لهذه الأمور الأربعةِ.

- **المقصد الثَّالث**: **توضيحُ منهجه**:

لا يختلِف القَوْل في منهج هذه الرِّسالة عَمَّا سبق أَنْ عَرفْتَه مِن منهج أبي العبَّاس ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما اخْتَصَّ به من المَعالم الرَّشيدة: مِن كثرة الاستدلال، وحُسْن الاستنباط، وسِعَة الاطِّلاع، المَسلوك في صياغةٍ وثيقةٍ مُحكمةِ البناء؛ تَمَيَّزت بِها تصانيفُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عن تصانيفِ غيرِه مِن أهل العِلم مِن مُتَأَخِّري الحنابلة خصوصًا، رحمةُ الله على الجميع.

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال أبي القاسم المَغْربيِّ

يَتَفَضَّل الشَّيْخ الإمام بَقِيَّة السَّلَفِ، وَقُدْوة الخَلَفِ، أَعْلَمُ مَنْ لَقِيتُ بِبِلاد المَشْرِق والمَغْرب، تَقِيُّ الدِّين أَبُو العَبَّاس أَحْمدُ ابن تيميَّةَ:

- بِأَنْ يُوصِيَنِي بِمَا يَكُون فيه صَلَاحُ دِيني وَدُنْيَاي.
- وَيُرْشِدَنِي إِلَى كِتَابٍ يَكُون عَلَيْه اعْتِمَادِي في عِلْم الحديث، وَكَذلك في غَيْره من العُلُوم الشَّرْعِيَّة.
- وَيُنَبِّهني عَلَى أَفْضل الأَعْمال الصَّالِحَة بَعْد الوَاجبات.
- وَيُبَيِّنَ لي أَرْجحَ المكاسب.

كُلُّ ذَلِك عَلَى قَصْد الإيماء والاختصار، والله - تَعَالى - يَحْفظه.

والسَّلام الكَرِيم عَلَيْه وَرَحْمة الله وبركاته.

فَأَجَاب:

الحَمْد لله رَبِّ العالمين.

أَمَّا الوَصِيَّة: فَمَا أَعْلَم وَصِيَّةً أَنْفَعَ مِن وَصِيَّة الله وَرَسُوله لِمَنْ عَقَلَها وَاتَّبَعَها؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾

[النِّساء:١٣١].

وَوَصَّى النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعاذًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا بَعَثَه إِلَى اليَمَن؛ فقال: «**يَا مُعَاذُ؛ اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» (١).

وَكَان مُعَاذٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْزِلَةٍ عَلِيَّةٍ؛ فَإِنَّه قال له: «يَا مُعَاذُ؛ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، وَكَان يُرْدِفُه وَرَاءَه.

وَرُوِي فيه: أَنَّه «**أَعْلَمُ الأُمَّةِ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ**» (٢). وأَنَّه «**يُحْشَرُ أَمَامَ العُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ**» (٣) أي بِخُطْوَةٍ.

وَمِنْ فَضْلِه: أَنَّه بَعَثَه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبَلِّغًا عَنْه دَاعِيًا، وَمُفَقِّهًا، وَمُفْتِيًا، وَحَاكِمًا إِلَى أَهْلِ اليَمن.

---

(١) هذا الحديث أحد الأحاديث المشهورة؛ إذْ هو من جملة «الأربعين النَّوَوِيَّة»، وسائر طُرُقِه ضعيفةٌ لا يثبتُ منها شيءٌ، إِلَّا أَنَّ مِن أهل العِلْم مَنْ يَرى تَقْوِيتَه بمجموع طُرقِه، ويَعُدُّه في الحِسان، كأبي عبد الله الذَّهبيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) هذا الحديث المَرْوِيُّ في «السُّنن» الصَّواب فيه: الإرسال، ولا يثبت عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد صَنَّف أبو الفضل ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى جُزءًا مُفرَدًا في بيان طُرُقه.

(٣) رُوِي هذا عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طُرُقٍ مَوْصولةٍ، لا يثبت منها شيءٌ. وأَصَحُّ ما في الباب: مَراسيل عن جماعةٍ من التَّابعين.

وَكَان يُشَبِّهه بِإِبْرَاهِيمَ الخَلِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ (١)، وَإِبْرَاهِيمُ إِمَامُ النَّاس.

وَكَان ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «إِنَّ مُعَاذًا كَان أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا، وَلَمْ يَكُ من المُشْرِكين»؛ تَشْبِيهًا له بإبراهيمَ (٢).

---

(١) إنْ صَحَّت هذه النُّسخة فليس في شيءٍ من الأحاديث عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشبيهٌ لمعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وأَظُنُّ صواب النُّسخة: (وكان يُشَبَّه بإبراهيمَ الخليلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)، وقد وَقَعَ هذا في كلام ابن مسعودٍ من الصَّحابة - رضوان الله عنهم -، كما سيذكره المُصَنِّف.

أَمَّا في الأحاديث المرفوعة: فَلا أَعْلَم شيئًا صحيحًا في ذلك.

(٢) فَمَدحه ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأربع خِصالٍ؛ هي الَّتي مُدِحَ بها إبراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

- ✓ **الخَصْلة الأُولى**: أَنَّه أُمَّةٌ. **والأُمَّة**: القُدوة الَّذي يُؤْتَمُّ به ويُقتدَى.
- ✓ **والخَصلة الثَّانية**: أَنَّه قانِتٌ لله. **والقُنوتُ**: اسْمٌ جامعٌ للطَّاعة.

وقد رُوِي عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كُلُّ قُنُوتٍ فَهُو طَاعَةٌ»، ولا يثبتُ إسناده.

لكنَّ المُعَوَّل عليه: لسانُ العرب، وفيه: أَنَّ (القنوتَ: اسمٌ جامعٌ للطَّاعة)، ورَجَّح هذا جماعةٌ من المُحَقِّقين، منهم ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى. =

ثُمَّ إِنَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وَصَّاه هَذِه الوَصِيَّةَ؛ فَعُلِم أَنَّها جَامِعةٌ، وَهِي كَذَلِك لِمَنْ عَقَلَها، مَعَ أَنَّهَا تَفْسِير الوَصِيَّةِ القُرْآنِيَّةِ[1].

أَمَّا بَيَان جَمْعِها: فَلِأَنَّ العَبْد عَلَيْه حَقَّان:

- حَقٌّ لله عَزَّوَجَلَّ.
- وَحَقٌّ لِعِبَاده.

ثُمَّ الحَقُّ الَّذِي عَلَيْه لَا بُدَّ أَنْ يُخِلَّ بِبَعْضِه أَحْيانًا:

- إِمَّا بِتَرْك مَأْمُورٍ به.

✓ **والخَصْلة الثَّالثة:** أَنَّه حَنيفٌ. **والحَنيف:** المُقبِل على الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، المُعرِض عَمَّا سِواه.

فـ (الحنيفِيَّة) تجمع مَعنيين اثنَيْن:

- **أحدهما:** الإقبال على الله؛ بالإخلاص له وحدَه.
- **والثَّاني:** الإعراض عَمَّا سواه؛ بالبَراءة مِن كُلِّ ما يُعبَد مِن دون الله عَزَّوَجَلَّ.

وهي مُسْتكِنَّةٌ في كلمة الإخلاص: (لا إله إِلَّا الله).

✓ **وأَمَّا الخَصْلة الرَّابعة:** فهي الشَّهادة له بأَنَّه لم يكن مِن المشركين، بل كان من جملة عِباد الله المُوَحِّدين.

(١) يعني تفسيرَ الوَصِيَّة القُرْآنِيَّة الآمِرَة بِتَقوى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

- أَوْ فِعْل مَنْهِيٍّ عَنه.

فقال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»؛ وَهَذه كَلِمَةٌ جَامِعةٌ.

وفي قوله: «**حَيْثُمَا كُنْتَ**» تَحْقِيقٌ لِحَاجته إِلَى التَّقْوى فِي السِّرِّ وَالعَلَانِية.

ثُمَّ قال: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»؛ فَإِنَّ الطَّبِيب مَتَى تَنَاوَلَ المَرِيضُ شَيْئًا مُضِرًّا أَمَرَه بِمَا يُصْلِحه.

وَالذَّنْب لِلعَبْد كَأَنَّه أَمْرٌ حَتْمٌ (١).

فَالكَيِّسُ هُو الَّذي لَا يَزَال يَأْتِي مِن الحَسَنات بِمَا يَمْحو السَّيِّئَات.

---

(١) يعني أَنَّ الذَّنب مُلازِمٌ للآدمِيَّة؛ فَكُلُّ بني آدمَ خَطَّاءٌ، وقد رُوِيَ هذا في حديثٍ عنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا أَنَّ إسناده ضعيفٌ.

ويُغنِي عنه: ما ثَبَتَ في «صحيح مسلمٍ» من حديث أبي ذرٍّ الغِفاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيما رواه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رَبِّه أَنَّه قال: «**يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ تُذْنِبُون بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**».

فقوله تعالى: «**إِنَّكُمْ تُذْنِبُون بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**» دليلٌ على أَنَّ الذَّنْبَ مُقارِنٌ للآدَمِيَّة.

وليس اللَّومُ على عبدٍ يُذْنِب، ولكنَّ اللَّومَ على عَبْدٍ يُذْنِبُ ثُمَّ لا يتوبُ. قال أبو العبَّاس ابن تيميَّةَ الحفيد في «التَّدمريَّة»: (مَنْ أَذْنَبَ وتَاب وَنَدِمَ فَقَدْ أَشْبَه أَباه) يعني آدمَ، (ومَنْ أَشْبَه أَباه فَمَا ظَلم). انتهى كلامه.

وَإِنَّما قَدَّمَ فِي لَفْظِ الحديث «**السَّيِّئَةَ**» - وَإِن كانت مَفْعولةً - لِأَنَّ المَقْصود هنا: (مَحْوُها)، لَا (فِعْل الحَسَنة)؛ فَصَار كَقَوْله في بول الأعرابيِّ: «**صُبُّوا عَلَيْهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ**»[1].

وَيَنْبَغي أَنْ تَكُون الحَسَنات مِن جِنْس السَّيِّئات؛ فَإِنَّه أَبْلَغُ فِي المَحْوِ[2].

والذُّنُوب يَزُول مُوجِبُها بِأَشْياءَ:

---

(١) **الذَّنُوبُ**: الدَّلُو العَظيمة المَملوءة ماءً.

(٢) **الحَسَنة المفعولة؛ تُفْعَلُ على أحد أمرين:**

- **أحدهما**: أَنْ تُفْعَلَ ابتداءً؛ ابتغاءَ التَّقَرُّب لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.
- **والثَّانِي**: أَنْ تُفْعَلَ ابتغاء تكفيرِها لِسَيِّئةٍ.

وما كان مِن هذا الجنس: فإِنَّ المناسبَ - كما ذَكَره أهل العلم؛ ومنهم أبو العبَّاس ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ‌ٱللَّهُ تعالى في هذا الموضع، وحفيدُه بالتَّلمذة أبو الفَرَج ابن رجبٍ في «جامع العلوم والحِكَم» -: أن تكون الحَسَنة المفعولة مِن جنس السَّيِّئة المفعولة.

مثالُه: مَنْ سَرَقَ مالًا مِن إنسانٍ، ثُمَّ نَدِم، وتابَ = فإِنَّ الحسنةَ المُناسبةَ: أَنْ يَتَصَدَّق بمالٍ؛ كي يكون أَبْلَغَ فِي التَّكفيرِ.

وإذا أَمْكَنَ أَنْ يَرُدَّ عينَ المال إلى مَنْ سَرَقَ منه فلا شَكَّ أَنَّه أَبْلغُ؛ لوجُوبِه، لكن إذا تَعَذَّر هذا فإِنَّه يَتَصَدَّق بمثلِه ليكون أَبْلغَ فِي مَحْو السَّيِّئة.

أَحدها: التَّوبة.

والثَّاني: الاستغفار مِن غَيْر تَوبةٍ؛ فَإِنَّ الله - تَعَالى - قَد يَغْفِرُ له إِجَابةً لِدُعائه وَإِنْ لَم يَتُب.

فَإِذَا اجْتَمعت التَّوْبة والاستغفار فهو الكمال.

الثَّالث: الأَعْمال الصَّالِحة المُكَفِّرة:

*** إِمَّا الكَفَّارات المُقَدَّرة:**

- كَمَا يُكَفِّر المُجَامِع في رمضانَ.

- والمُظَاهِرُ والمُرْتَكِب لِبَعْض مَحْظُورات الحَجِّ.

- أَوْ تَارِك بَعْضِ وَاجِبَاته.

- أَوْ قَاتِل الصَّيْد بِالكَفَّارات المُقَدَّرة؛ **وَهِي أَرْبعة أَجْناسٍ**: هَدْيٌ، وَعِتْقٌ، وَصَدَقةٌ، وَصِيامٌ.

*** وَإِمَّا الكَفَّارات المُطْلَقة**: كَمَا قَال حُذَيْفةُ لِعُمَرَ: «فِتْنَةُ الرَّجُل فِي أَهْله وَمَالِه وَوَلَدِه يُكَفِّرها الصَّلَاة، وَالصِّيَام، والصَّدَقَة، وَالأَمْر بِالمَعْروف، والنَّهْي عَن المُنْكَر».

وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذلك: القُرآن، والأَحَادِيث الصِّحَاح في التَّكْفير بـ(الصَّلوات الخَمْس، والجُمعة، والصِّيَام، والحَجِّ)، وَسَائِر الأَعْمال الَّتي يُقَال فيها: «مَنْ قَالَ كَذا، وَعَمِل كَذا = غُفِرَ لَه»، أَوْ «غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»؛ وَهِي كَثِيرةٌ لِمَنْ تَلَقَّاهَا

مِن السُّنَن، خُصُوصًا مَا صُنِّف فِي فَضَائل الأعمال»[١].

وَاعْلَم أَنَّ العِنَاية بِهَذا مِن أَشَدِّ ما بِالإنسان الحَاجةُ إليه؛ فَإِنَّ الإِنْسَانَ مِن حين يَبْلغ، خُصُوصًا فِي هَذِه الأَزْمِنة وَنَحْوها مِن أَزْمِنَة الفَتَرات الَّتي تُشْبِه الجَاهِلِيَّةَ مِن بَعْض الوُجُوه، فَإِنَّ الإِنْسان الَّذي يَنْشَأُ بَيْن أَهْل عِلْمٍ وَدِين قَد يَتَلَطَّخ مِن أُمُور الجَاهِلِيَّة بِعِدَّة أَشْياء؛ فَكَيْف بِغَير هذا؟!»[٢]

---

(١) هذه الأمور الثَّلاثة الَّتي ذَكَرها أبو العبَّاس ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هي مِن جملة مُزِيلات الذُّنوب.

ولَهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاعدةٌ نافعةٌ مَوجودةٌ في «مجموع الفَتاوى»؛ ذَكَر فيها عَشرة أنواعٍ من مُزيلات الذُّنوبِ؛ ينبغي أَنْ يُراجعَها العبدُ؛ كي يُكَمِّل بِها نَقْصَ عُبودِيَّته؛ فإِنَّه ما مِنَّا أَحدٌ إِلَّا وهو ذُو ذَنْبٍ.

والحكيمُ مَنْ تَدَارَكَ سَيِّئاتِه بالأعمالِ الَّتي رَتَّبتها الشَّريعة؛ كي تكون مُزِيلةً لها.

(٢) وهذا الَّذي ذَكَره أبو العبَّاس ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى لا يَبعُد عَن زماننا؛ فإِنَّ هذا الزَّمان مِن أَزْمنة الفَتَرات؛ الَّتي عَظُمت فيها البَلِيَّة بأحوال الجَاهِلِيَّة، وتَسَارَع النَّاس إلى أبواب الفِتَن.

فينبغي أَنْ يَتَزَوَّد العبد بما ذَكَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى؛ كي يَسْلُك به طريق النَّجاة.

وإذا كان مَنْ يَنْشأ بين أهل عِلْمٍ ودينٍ - كأهل هذه البلاد - قد يَتَلَطَّخ بعِدَّة =

وَفِي «الصَّحيحين» عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن حَديث أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ[1] مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْو القُذَّةِ بِالقُذَّةِ[2]، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»، قالوا: يا رسول الله؛ اليَهُود وَالنَّصَارى؟ قَال: «فَمَنْ!؟».

هَذَا خَبَرٌ تَصْدِيقُه في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التَّوبة:٦٩][3].

أشياءَ كما تراه فيهم، فما الظَّنُّ بغيرهم من أهل الإسلام؟! مِمَّا يُبَيِّن افتقار النَّاس إلى معرفة دينهم، وأنَّ البلاءَ لا يندفع عنهم إلَّا بعِلْمهم بدينِهم، وإذا جَهِلت الأُمَّة دينها فإنَّها لا تَحُوز نَصْرًا، ولا تُحقِّق رِفعةً لها.

(١) قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («سَنَن») فيه لُغتان:

- **إحداهما**: بِفَتْح السِّين؛ ويُقصَد بِها (الطَّريق).
- **والآخر**: بِضَمِّها؛ ويُقصَد به جَمْع (سُنَّةٍ).

ومآل (السُّنَّة) إلى (الطَّريق).

(٢) («القُذَّةُ»): الرِّيش الَّذي يكون في مُؤَخِّرة السَّهم.

(٣) هذا نَوْعٌ من العِلْم، وهو ما جاء من الأحاديث النَّبَوِيَّة، وتصديقُه في القرآن الكريم.

وقد صَنَّف أهل العِلْم في عَكْسِه؛ وهو (ما جاء في القرآن وفَسَّرتْه السُّنَّة أَوْ =

وَلِهَذا شَوَاهِدُ في الصِّحَاح والحِسَان.

وَهَذَا أَمْرٌ قد يَسْرِي في المُنْتَسِبين إلى الدِّين من الخَاصَّة، كَمَا قال غير واحدٍ من السَّلَف، مِنهم ابن عُيَيْنَة.

فَإِنَّ كَثِيرًا من أحوال اليهود قَدِ ابْتُلِيَ بِهِ بَعْضُ المُنْتَسِبين إِلَى العِلْم، وَكَثِيرًا من أَحْوال النَّصَارى قَد ابْتُلِي به بعض المُنْتَسِبين إِلَى الدِّين، كَمَا يُبْصِرُ ذَلِك مَنْ فَهِمَ دين الإِسْلَام الَّذي بَعَثَ الله بِه مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَزَّلَه عَلَى أَحْوَال النَّاس"[1].

صَدَّقَتْه).

أَمَّا العكس (وهو ما جاء في السُّنَّة النَّبوِيَّة، ثُمَّ صَدَّقه القرآن): فإِنَّه لا يُوجَد من الكُتُب المُصَنَّفة فيه شيءٌ بأيدي النَّاس.

وذُكِرَ في ترجمة بعض المَغاربة: أَنَّه جَمَع كتابًا ذَكَر فيه الآياتِ القُرآنِيَّة الَّتي تُفَسِّر وتُصَدِّق الأحاديث النَّبوِيَّة الواردة في «صحيح مسلمٍ»؛ لأَنَّ أهل المغرب تَعْظُم عِنايتُهم بـ«صحيح مسلمٍ»؛ ذَكَره الكتَّانِيُّ في كتابه «فِهْرس الفَهارس».

(١) وقَوْل ابن عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- وغيرُه من السَّلف-: «مَنْ ضَلَّ مِن علمائنا فَفِيه شَبَهٌ باليهود، ومَنْ ضَلَّ من عُبَّادنا فَفِيه شَبَهٌ من النَّصارى».

ولهذا؛ فإِنَّ أَدْواء هاتين الأُمَّتين (الأُمَّة الغَضَبِيَّة، والأُمَّة الضَّالَّة) مخلوفةٌ في هذه الأُمَّة.

- فَحَظُّ العلماء: أدواء القلوب الَّتي كانت عند اليهود. =

وَإِذَا كَانَ الأَمْر كَذَلِك، فَمَنْ شَـرَحَ الله صَـدْرَهُ لِلإِسْـلَام فَهُو عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّه، وَكَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَاه الله وَجعَل لَه نُورًا يَمْشِـي به في النَّاس = لَا بُدَّ أَنْ يُلَاحِظ أَحْوال الجَاهِلِيَّة وَطَرِيق الأُمَّتَيْن (المَغْضُـوب عَلَيْهِم، والضَّـالِّين من اليَهود والنَّصَـارى)؛ فَيَرى أَنْ قَد ابْتُلِي ببعض ذَلك.

فَأَنْفَعُ مَا لِلخَاصَّـةِ وَالعَامَّة: العِلْمُ بِمَا يُخَلِّصُ النُّفُوس مِن هَذه الوَرطَات، وَهُو إِتْبَاع السَّيِّئَاتِ الحَسَنَات.

و(**الحَسَـنـات**): مَا نَـدَبَ الله إِلَيْـه عَلَى لِسَـان خَـاتَم النَّبِيِّين من الأعمـال، والأَخْلاق، والصِّفَاتِ[1].

○ وحَظُّ العُبَّاد: أدواء القلوب الَّتي كانت عند النَّصارى.

والنَّاجِي: مَنْ أَنْجاه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مِن هذه الأدواء.

ومَنْ تَأَمَّل القرآن الكريم وَجَدَ أَنَّ ما يُذْكَر في ذَمِّ العلماء تكون الخِلالُ فيه خلال اليهود، وما يُذْكَر من ذَمِّ العُبَّاد تكون الخلال فيه خلال النَّصارى.

(١) قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (و(**الحَسَـنـات**): مَـا نَـدَبَ الله إِلَيْـه) إلى آخِره: مُراده بـ (نَدَبَ): المعنى اللُّغويُّ، لا المعنى الَّذي اصطلح عليه علماء الأصول.

وجِمَاع (**الحَسَـنة**) **أَنَّها**: كُلُّ ما أُمِرَ به، سـواءٌ كان الأمر بِها أَمْر إيجابٍ أو أَمْر استحبابٍ.

فَعَلَى هذا – مثلًا –: الصَّـلَاة من الحَسـنات، والصَّـدَقة من الحَسـنات، وبِرُّ =

وَمِمَّا يُزِيل مُوجِبَ الذُّنُوب: المَصَائب المُكَفِّرة.

وَهِي كُلُّ مَا يُؤْلِم مِنْ هَمٍّ، أَوْ حُزْنٍ، أَو أَذًى فِي مَالٍ أَوْ عِرْضٍ أَو جَسَدٍ، أَوْ غَيْر ذَلك، لَكِن لَيْس هَذَا مِن فِعْل العَبْد[1].

فَلَمَّا قَضَى بِهَاتَيْن الكَلِمَتَيْن حَقَّ الله مِنْ عَمَل الصَّالح وَإِصْلاح الفَاسد قَال: «**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»، وَهُو حَقُّ النَّاس.

وَجِمَاع الخُلُقِ الحَسَن مَع النَّاس: أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَك؛ بالسَّلام، والإكرام، والدُّعاء له، والاستغفار، والثَّناء عليه، والزِّيارة له، وتُعطي مَنْ حَرَمَك مِن التَّعليم، والمنفعة، والمال، وتعفو عمَّنْ ظَلَمك في دمٍ، أو مالٍ، أو عِرْضٍ.

وبعضُ هذا واجبٌ، وبعضُه مُسْتَحَبٌّ[2].

الوالدين من الحَسنات، وأَشْباه هذا.

(١) هذا نَوْعٌ رابعٌ مِمَّا تُزال به الذُّنوب، ذَكَره شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ هنا عَقِب الثَّلاث الَّتي تَقَدَّمت، وهو (المَصَائب المُكَفِّرة).

والمقصود بـ(المَصَائب المُكَفِّرة): الأقدار المُؤلمة الَّتي تجري على العبد. حَتَّى الهَمُّ، والحَزَن، والأذى الَّذي يُصاب به الإنسان في ماله أو عِرْضه أو جَسده أو غير ذلك، فإنَّ هذا كُلُّه مِمَّا يُكفِّر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به عنه السَّيِّئات.

(٢) هذا الَّذي ذَكَره أبو العبَّاس كلامٌ عظيمٌ في حقيقة الخُلُق الحَسَن؛ إذ قال: (أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَك بالسَّلام)؛ فلَيس الخُلُق الحَسَن أَنْ تَصِل مَنْ وَصَلك، ولكنَّ=

الخُلُقَ الحَسنَ: (أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَك؛ بالسَّلام، والإكرام، والدُّعاء له، والاستغفار، والثَّناء عليه، والزِّيارة له)، (وتُعطي مَنْ حَرَمَك من التَّعليم، والمنفعة، والمال)، لا أَنْ تُعطي مَنْ أعطاك، (وتعفوَ عمَّنْ ظَلَمك) لا مَنْ أَكْرَمك (في دمٍ، أو مالٍ، أو عِرْضٍ).

وهكذا كانت حالُ كُمَّلِ عبادِ الله؛ كالنَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وصَحابته والتَّابعين؛ فكم تَرى فيهم مِن كمال الحال، رَحِمَهُمُٱللَّهُ تعالى ورَفَعَ دَرَجاتِهم في عِلِّيِّين.

وإذا تَأَمَّلتَ سيرة أبي العبَّاس ابن تيميَّةَ رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى وجدْتَّ أَنَّ مِن أعظم أسباب رِفعتِه ليست زيادة عِلْمه؛ فلقد كان في زمانه مَنْ يُقْرَن به، وهو تَقِيُّ الدِّين السُّبكيُّ، حَتَّى أَنَّهما كانا فَرَسَا رِهانٍ، ولكن شَتَّان بين حال هذا وحال ذاك.

فاليومَ ومِن قبل اليوم، كانت الشُّهرة لأبي العبَّاس ابن تيميَّةَ، وأَمَّا السُّبكيُّ فلا تَكادُ تسمع به إِلَّا على لسانِ آحادِ طَلَبة العِلْم؛ وما الأمرُ إِلَّا لأَنَّ الحالَ الَّتي كان عليها أبو العبَّاس رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى مِن مَتانة الدِّيانة، وكمالِ المُراقبة لله عَزَّوَجَلَّ، والاستمساكِ بالشَّريعة، والدَّعوةِ إلى الحقِّ، وحَطِّ حَقِّ النَّفس = لم تكن عند غيره.

ومن جملة ذلك مِمَّا يُذْكَر عنه **رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى**: أَنَّ تلاميذَه - ومنهم ابن القيِّم - دَخَلوا عليه يومًا يُبَشِّرونَه بِمَوْت ابن الزَّمَلْكَانِيِّ - أحدِ أعدائه -، فقال رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى غاضبًا: (تُبَشِّروني بموتِ مسلمٍ؟!)، ثُمَّ قام رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى إلى أولاد ابن الزَّمَلكانِيِّ فَعَزَّاهم وقال لهم: (أنا لكم بعده، وأَيُّما حاجةٍ تحتاجونَها =

فأنا لكم بِها كفيلٌ).

وهذا هو الخُلُق الحسن الَّذي يرتفِع به العبد في الدُّنيا والآخرة.

وأَمَّا التَّصَنُّع، ووَصْلُ مَنْ وَصَلَ، وإعطاءُ مَنْ أعطى: فهذا شيءٌ تستطيعُه النُّفوس جميعًا، ولكنَّ الَّذي لا تَستطيعُه إلَّا نفوسُ كُمَّل العِباد: هو مَنْ يُقابِل فِعْل مَنْ أساء إليه بالإحسان إليه، وفِعْل مَنْ ظَلَمه بالعدل معه، وقَدْحَ مَنْ قَدَحه بالثَّناء عليه بما هو فيه مِن الخير.

ولا يَصِلُ المرءُ إلى ذلك إلَّا بكمالِ المُراقبةِ لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ويعلمَ أَنَّ حقَّ الله عَزَّوَجَلَّ هو الحقُّ الَّذي ينبغي أَنْ يَرْعاه.

فإذا ظَلَمكَ أحدٌ بقَوْلٍ فلم يأذنْ لك الشَّرع أَنْ تظلِمَه بقَوْلٍ، ولكن انظرْ إلى ما أَمَرك الشَّرع؛ فقد يكون مُتأَوِّلًا، وقد يكون معذُورًا، وقد يكون قاله غَضَبًا، ونظائرَ هذا مِمَّا يَعذر به الشَّرع.

فالتَّقيُّ النَّقيُّ سليمُ القلب ينظُر إلى أَمْرِ الشَّريعة، ويكون تعظيم الشَّريعة في قلبِه أعظم من الالتفات إلى أحوال النَّاس.

فإِنَّ النَّاس وإِنْ مَدَحوك مِلْءَ الأرض ما نفعُوك، وإِنْ قَدَحُوك مِلءَ الأرض ما ضَرُّوك.

ولكنَّ الَّذي ينفعُك ويَضُرُّك: هو مَحَبَّة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لك، أو بُغْضُه إِيَّاك.

فالسَّعيد مَنْ أَحَبَّه الله، والشَّقِيُّ مَنْ أبغضه الله. =

وَأَمَّا الخُلُق العَظِيم الَّذي وَصَــفَ به مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فَهُو الدِّينُ الجَامِع لِجَمِيعِ مَا أَمَرَ الله به مُطْلَقًا؛ هَكَذَا قال مُجَاهِدٌ وغيره، وَهُو تَأْوِيل القُرآن؛ كما قالت عائشــةُ** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **«كَانَ خُلُقُه القُرْآنُ»، وحَقِيقته: المُبَادرة إلى امتثال ما يُحِبُّه الله – تَعَالى – بِطِيبِ نَفْسٍ وَانْشِرَاح صَدْرٍ**[(١)].

ولا يزيدُكَ مَحَبَّة النَّاس، ولا يَنقصُــك كراهيَة النَّاس، ولكنَّ الَّذي يزيدُك هو مَحَبَّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لك.

ولذلك في حديث سَــهْلٍ في «الصَّــحيحين» لَمَّا قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُــولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُــولُهُ**»، بات الصَّــحابة ليلتَهم يَدُوكُونَ، لا ينظرون مَنْ هذا الَّذي يُحِبُّ اللهَ ورســولَه، فَكُلُّهم ذاك! ولكنَّهم ينظرون أَيُّهم الَّذي يُحِبُّه اللهُ ورسولُه.

نســأل الله العَليَّ العظيم أَنْ يجعلَنا وإيَّاكم مِمَّنْ يُحِبُّه الله ورســوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) **حاصل هذه الجملة: أَنَّ (الخُلُقَ) له شرعًا معنيان اثنان:**

- **المعنى الأَوَّل: معنًى عامٌّ**؛ وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، قال مجاهدٌ وجماعةٌ من السَّــلف: «الخُلُق العظيم: الدِّين العظيم»؛ فيقع إطلاق الخُلُق ويُراد به الدِّين كُلُّه.
- **والمعنى الثَّاني: معنًى خاصٌّ**؛ وهو ما يكون بين العبد وبين غيرِه مِن =

وَأَمَّا بَيَان أَنَّ هَذَا كُلَّه فِي وَصِيَّة الله: فهو أَنَّ اسْم (تَقْوَى الله) يَجْمَع فِعْلَ كُلِّ مَا أَمَرَ الله بِهِ إِيجَابًا وَاسْتِحْبَابًا، وَمَا نَهَى عَنْه تَحْرِيمًا وَتَنْزِيهًا.

وَهَذا يَجْمَع حُقُوقَ اللهِ وَحُقوقَ العِبادِ.

لَكِنْ لَمَّا كَان تَارَةً يَعْنِي بِـ(التَّقْوى) خَشْيةَ العَذَابِ المُقْتَضِيةِ للانْكِفَاف عن المَحَارمِ = جَاء مُفَسَّرًا في حديث مُعاذٍ، وَكَذلك في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذي رواه التِّرمذيُّ وَصَحَّحه: قِيلَ: يا رسول الله؛ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قَال: «تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ»، قِيل: وَمَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ قال: «الأَجْوَفَانِ: الفَمُ، وَالفَرْجُ»[1].

وَفِي «الصَّحيح» عَن عَبدِ الله بن عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»؛ فَجعَل كَمَالَ الإيمان في كَمَالِ حُسْن الخُلُق.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الإيمانَ كُلَّه تَقْوى الله.

وَتَفْصيلُ أُصولِ التَّقْوى وَفُرُوعِها لَا يَحْتَمِلُه هذا المَوْضعُ؛ فَإِنَّها الدِّين كُلُّه.

المعاملة؛ وهو الَّذي سَبَق ذِكْره في كلام أبي العبَّاس ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

(١) سياق التِّرمذيِّ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»، وليس فيه كلمة (الأجوفان)، وهي عند ابن ماجهْ، وأحمدَ، والحاكمِ، وابن حبَّانَ، وغيرهم.

لَكِن يَنْبُوعُ الخَيْرِ وَأَصْلُه: إِخْلَاصُ العَبْدِ لِرَبِّه عِبَادَةً وَاسْتِعَانَةً؛ كما فِي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]، وفِي قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣]، وفِي قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشُّورى:١٠]، وفِي قوله: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت:١٧]؛ بِحَيْث يَقْطَع العَبْدُ تَعَلُّقَ قَلْبِه مِنَ المَخْلُوقين انْتِفَاعًا بِهم أوْ عَمَلًا لِأَجْلهم، وَيَجْعل هِمَّتَه رَبَّه - تَعَالى -؛ وَذِلَك بِمُلَازَمة الدُّعَاء لَه فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ؛ مِن فَاقَةٍ، وَحَاجَةٍ، وَمَخَافَةٍ، وغير ذلك، وَالعَمَلِ لَه بِكُلِّ مَحْبوبٍ.

وَمَنْ أَحْكَمَ هَذا فَلَا يُمْكِن أَنْ يُوصَفَ مَا يُعْقِبُه ذلك»[1].

---

(١) (مَا يُعْقِبُه ذلك): يعني ما يُثمِرُه ذلك.

فإذا كان العبدُ دائمَ الصِّلَة بِرَبِّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مُتَعَلِّقًا به، هِمَّتُه ومُرادُه: ابتغاء مرضاة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ = فإِنَّه ينال سعادة الدَّارَيْن.

وأَمَّا مَنْ كانت هِمَّته الدُّنيا: فإِنَّه يَبْقى مُعَذَّبًا.

ولذلك؛ شَتَّان بين هِمَّتَيْن؛ كما ذكر ابن القَيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في «الدَّاء والدَّواء» و«مفتاح دار السَّعادة» عن بعض السَّلف أنَّه قال: «إنَّ هذه القلوبَ جوَّالةٌ، فمنها ما يَجُول حول العَرْش، ومنها ما يَجُول حول الحُشِّ»؛ يعني أَنْتان الدُّنيا.

فينبغي أَنْ يكون مُرادَ العبد: ابتغاءُ القُربة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأَنْ تكون طِلْبَةَ هِمَّته: تَحَرِّي ما يُوصِل إلى مَرْضاته من الأعمال المُوفِقة على رِضا الله =

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومَحَابِّه.

وهذا الَّذي ذَكَره أبو العبَّاس ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فيما تَقَدَّم: فيه إشارةٌ إلى تفسير (التَّقوى)، وإنْ كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أَجْمَلَ؛ مُراعَاةً للحال؛ فإنَّها وَصِيَّةٌ كُتِبَت على عَجَل لِرجلٍ كان قَدِم فسَأله الوَصِيَّةَ بما يُصلِح دينه ودُنياه.

وحقيقة (التَّقْوى): اتِّخاذُ العبدِ وقايةً بينه وبين رَبِّه باتِّباع خطاب الشَّرع.

فقولنا: (اتِّخاذ العبد وقايةً) أَصَحُّ مِن القَوْل المشهور: (أَنْ يَتَّخِذ العبد وقايةً بينه وبين عذاب الله)؛ فإنَّ مقصود العُبودِيَّة الَّتي حقيقتُها (التَّقوى) ليس مُجَرَّدُ دَفْعِ العذاب، بل مِن مقصودها: رِفْعةُ الدَّرجات، والتَّزَوُّدُ من كُلِّ ما يُقَرِّب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالتَّعبير بما ذَكَرْنا أَعَمُّ.

ولذلك؛ جاء في القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ [لقمان:٣٣]، كما جاء فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التَّحريم:٦]؛ فَكُلُّه مِمَّا تُطلَب الوقاية منه.

وأيضًا قولُنا: (باتِّباع خطاب الشَّرع) أَعَمُّ مِن قَوْل كثيرين: (بفِعْل أوامره واجتناب نواهيه)؛ لأَنَّ فِعْلَ الأمرِ واجتنابَ النَّهيِ هو بعضُ خطاب الشَّرع؛ **لأَنَّ خطاب الشَّرع نوعان:**

- **النَّوع الأَوَّل: الخطاب الشَّرْعيُّ الخَبَرِيُّ**، المُقتَضِي للتَّصديق؛ كقوله =

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنه مِن أَفْضَل الأَعْمال بَعد الفَرَائض: فَإِنَّه يَخْتَلِف بِاخْتِلَاف النَّاسِ فِيما يَقْدِرُون عَلَيْه وَمَا يُنَاسِب أَوْقَاتِهم؛ فَلَا يُمْكِن فِيه جَوَابٌ جَامِعٌ مُفَصَّلٌ لِكُلِّ أَحدٍ[1].

لَكِن مِمَّا هو كالإجماع بَيْن العَلماء بالله وَأَمْره: أَنَّ مُلَازَمة ذِكْر الله دَائِمًا هو

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النِّساء:٥٨]؛ فهذا لا يدخل فيه فِعْلٌ ولا تَرْكٌ، وإنَّما يدخل فيه التَّصديق.

- **والنَّوع الثَّاني: الخطاب الشَّرعيُّ الطَّلبيُّ**؛ ويندرج فيه: فِعْل المأمور، واجتناب المحظور.

فصار هذا التَّعريف جامعًا، سالمًا مِن كُلِّ مُعَارضَةٍ.

(١) مِن أحسن الأَجْوبة في هذا الباب: جوابُ أبي عبد الله أحمدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى لَمَّا سأله رجلٌ عن عَمَلَيْن أيُّهما يفعل؟ فقال: «افعَل الأَنْفَع لِقَلْبك».

- فمِن النَّاس مَنْ يكون الأَنْفع لقلبه في حالٍ: قراءة القرآن.
- وتارةً في حالٍ أخرى: مواساةُ المساكين.
- وتارةً في حالٍ ثالثةٍ: الجلوس في حِلَق العِلْم.
- وتارةً في حالٍ رابعةٍ: صِلَة الأرحام.

فيَتَلَمَّس المَرء ما يكون نافعًا لقلبِه فيعمله؛ لأنَّ المراد: إصلاح حال القلب بالأعمال الصَّالحة.

أَفْضَل مَا شَغَلَ العَبْدُ به نَفْسَه في الجُملة.

وَعَلى ذَلِك دَلَّ حَدِيث أَبي هُرَيْرَةَ الَّذي رواه مسلمٌ: «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ»، قالوا: يا رسول الله؛ وَمَنْ المُفَرِّدون؟ قال: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ».

وَفِيما رَوَاه أَبُو داودَ عن أبي الدَّرْداءِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عَن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَنَّه قال: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُم مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ[١]، وَمِن أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُم فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُول الله! قال: «ذِكْرُ اللهِ»[٢].

وَالدَّلَائِل القُرْآنِيَّةُ وَالإِيمَانِيَّةُ - بَصَرًا وَخَبَرًا وَنَظَرًا - عَلى ذَلِك كَثِيرةٌ.

وَأَقَلُّ ذَلِك: أَنْ يُلَازِم العَبْد الأَذْكَارَ المَأْثورة عَن مُعَلِّمِ الخَيْر وَإِمَام المُتَّقِين صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

كالأَذْكار المُؤَقَّتة في أَوَّل النَّهَار وآخِرِه، وَعِنْد أَخْذ المَضْجَع، وَعِنْد الاسْتِيقَاظ من المَنَام، وَأَدْبَار الصَّلَوات.

وَالأَذْكَار المُقَيَّدة؛ مِثْل: مَا يُقَال عِنْد الأَكْل، والشُّرْب، واللِّبَاس، والجِمَاع، وَدُخُول المَنْزل والمَسْجِد والخَلاء، والخُرُوج مِن ذَلك، وَعِنْد المَطَرِ والرَّعْد إلى

(١) الوَرِق: الفِضَّة.

(٢) هذا الحديثُ مَرْوِيٌّ عند التِّرمذيِّ وابن ماجهْ، وفي إسناده نَظَرٌ، ومِن أهل العِلْم مَنْ صَحَّحه، لكنْ في النَّفس من تصحيحه شيءٌ.

غير ذلك [١].

وَقَدْ صُنِّفَت لَه الكُتُب المُسَمَّاة بِـ «عَمَل اليَوْم وَاللَّيْلَة» [٢].

---

(١) هذه الجملة مِن أَجْوَد ما ذُكِرَ في تعيين قَدْرِ ما يكون به العبدُ من جملة الذَّاكرين الله كثيرًا والذَّاكرات.

وأصلُ هذا الجوابِ لأبي عمرٍو ابن الصَّلاحِ الشَّهْرَزُوريِّ الشَّافعيِّ - صاحب «معرفة علوم الحديث» -؛ فإِنَّه ذَكَر في «فَتاويه»: (أَنَّ مَنْ أَدام المحافظة على الأذكار المُرَتَّبة شرعًا كما وَظَّفَتْها الشَّريعة، فإِنَّه يدخل في جملة الذَّاكرين الله كثيرًا والذَّاكرات).

وإلى هذا يَمِيل أبو العبَّاس ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - كما هو ظاهر كلامه هنا -، وتلميذه ابن القيِّم - كما هو ظاهر كلامه في «الوابل الصَّيِّب».

(٢) ومن جملتها: كتاب أبي عبد الرَّحمن النَّسئيِّ، المُسَمَّى: «عَمَل اليَوْم واللَّيْلة»، وكتاب ابن السُّنِّيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى المُسَمَّى أيضًا: «عَمَل اليَوْم واللَّيلة»، وكتاب أبي العبَّاس ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى المُسَمَّى: «الكَلِم الطَّيِّب»، وكتاب تلميذه ابن القَيِّم المُسَمَّى: «الوابل الصَّيِّب».

فينبغي أَنْ يحرص العبد على حِفْظ هذه الأذكار، وينبغي أَنْ يُنَشَّأَ النَاشئةُ على حِفْظ هذه الأذكار؛ فإِنَّها مِن أَنْفَع الأمورِ للقلب؛ بحيث يَرْسَخُ بِها الإيمانُ، ويزيد اليقينُ. =

ثُمَّ مُلَازَمة الذِّكْر مُطْلَقًا، وَأَفْضلُه: (لَا إِلَه إِلَّا الله).

وَقَد تَعْرِض أَحْوَالٌ يَكُون بَقِيَّة الذِّكْر مثل: (سُبْحان الله، وَالحَمْد لله، والله أَكْبر، وَلَا حَوْل وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله) أَفْضَلَ مِنه.

ثُمَّ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَكَلَّم بِه اللِّسانُ وَتَصَوَّرَه القَلْبُ مِمَّا يُقَرِّبُ إِلى الله مِنْ تَعَلُّم عِلْمٍ، وَتَعْلِيمه، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ: فَهُو مِن ذِكْر الله.

وَلِهَذا مَنِ اشْتَغَل بِطَلَبِ العِلْم النَّافِع بَعْد أَدَاء الفَرَائض، أَو جَلَسَ مَجْلِسًا يَتَفَقَّه أَو يُفَقِّه فِيه الفِقْه الَّذي سَمَّاه الله وَرَسُوله (فِقْهًا): فَهَذَا أَيْضًا مِن أَفْضَل ذِكْر الله [١].

ومَنْ رَأَى نشأةَ النَّاس فَوَجدَهم قد نُشِّئُوا على دوام الأذكار، يجد لذلك في نفوسهم أثرًا.

وقد كان بَعض مَنْ مَضى مِن أهل التَّعَبُّد يعتني بتحفيظ النَّاشئة «صحيح الكَلِم الطَّيِّب» للشَّيخِ الأَلْبانِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وهذا أَقَلُّ ما يكونُ؛ أَنْ يحفظ الإنسان شيئًا مِمَّا عُيِّنَ مِن جملة الصِّحاح ككتاب الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وإِنْ نُوزِع في شيءٍ منه، إِلَّا أَنَّه نافعٌ للمَرْء.

(١) وهذا الَّذي ذَكَره أبو العبَّاس ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وَقَعَ في لسان جماعةٍ من التَّابعين، كما قال عطاءٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «مَجْلِسٌ يَتَعَلَّم فيه العبدُ الحلالَ والحرامَ: مِن ذِكْرِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ».

فليس ذِكْر الله مقصورًا على التَّسْبِيح والتَّحميد والتَّهليل والتَّكبير، كما =

وَعَلَى ذَلِك؛ إِذَا تَدَبَّرت لَم تَجِدْ بَين الأَوَّلين فِي كَلِمَاتِهم فِي أَفْضَل الأَعْمالِ كَبِيرَ اخْتِلافٍ.

وَمَا اشْتَبَه أَمْرُه عَلَى العَبْد فَعَلَيْه بِالاستخارة المَشْروعة؛ فَمَا نَدِم مَنِ اسْتَخَار اللهَ تَعَالى.

وَلْيُكْثِرْ مِن ذَلِك وَمِن الدُّعاء؛ فَإِنَّه مِفْتَاح كُلِّ خَيْرٍ، وَلَا يَعْجَلْ فَيَقول: (دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي)، وَلْيَتَحَرَّ الأَوْقَات الفَاضِلةَ؛ كآخِرِ اللَّيْل، وَأَدْبَارِ الصَّلَوات، وَعِنْد الأَذَان، وَوَقْتِ نُزُول المَطَر، وَنَحوِ ذَلك [١].

يَتَوَهَّمه كثيرٌ من النَّاس؛ بل باب الذِّكْر أوسعُ من ذلك.

ولابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كلامٌ جامعٌ مُفيدٌ في معنى (الذِّكْر)، ذَكَره في صَدْر كتابه «الوابل الصَّيِّب»؛ فيَحْسُن الرُّجوع إليه.

(١) **دائمًا إذا وجدْتَّ (ونحو ذلك):**

- فإمَّا أَنْ تكون مبتدأً مرفوعًا.
- وإِمَّا أَنْ تكون منصوبةً لِفِعْلٍ محذوفٍ تقديره: (وَانْحُ أنتَ نحوَ ذلك).
- ويجوز وجه ثالثٌ، وهو الجرُّ، عَطْفًا، كما في هذا الموضع.

وَأَمَّا أَرْجح المَكَاسب: فالتَّوَكُّل على الله، وَالثِّقَة بِكِفَايَتِه، وَحُسْن الظَّنِّ به.

وَذَلِك أَنَّه يَنْبَغي للمُهْتَمِّ بِأَمْر الرِّزْق أَنْ يَلْجَأَ فِيه إِلَى الله وَيَدْعُوه؛ كَمَا قَال - سبحانه - فِيمَا يَأْثُر عَنه نَبِيُّه: «**كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُم عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**».

وَفِيما رَوَاه التِّرْمِذِيُّ عَن أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا، حَتَّى شَسْعَ نَعْلِهِ**[1] **إِذَا انْقَطَعَ؛ فَإِنَّه إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ**»[2].

وَقَد قال الله - تَعَالى - فِي كتابه: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النِّساء:٣٢].

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠]؛ وَهَذَا وَإِنْ كَان فِي الجُمْعة، فَمَعْناه قَائِمٌ فِي جَمِيع الصَّلَوات.

وَلِهَذا - والله أَعْلم -؛ أَمَر النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذي يَدْخُل المَسْجدَ أَنْ يَقول: «**اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»، وَإِذَا خَرجَ أَنْ يَقُول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**»[3].

---

(١) (**شِسْع النَّعل**): سُيُور النَّعل الَّتي تكون بين الأصابع.

(٢) هذا الحديث حديثٌ ضعيفٌ، لا يثبت عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) فالأمر بقول: («**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**») عند الخروج من كُلِّ صلاةٍ فيهِ تقريرٌ لهذا المعنى؛ أَنَّ المرءَ يَتَلَمَّس فضلَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عند كُلِّ مَرَّةٍ=

وقد قال الخليلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ﴾ [العنكبوت:١٧]، وَهَذا أَمْرٌ، والأَمْر يَقْتَضي الإيجاب.

فالاستعانةُ بالله واللَّجأُ إِلَيْه - فِي أَمْر الرِّزْق وَغَيْرِه - أَصْلٌ عَظيمٌ.

ثُمَّ يَنْبغي لَه أَنْ يَأْخذَ المالَ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ لِيُبَارَك له فيه، وَلَا يَأْخُذُه بِإِشْرَافٍ وَهَلَعٍ؛ بَل يَكُون المَالُ عِنْده بِمَنْزلة الخَلَاء الَّذي يَحْتَاج إِلَيْه مِن غَيْرِ أَنْ يَكُون له في القَلْب مَكانةٌ، والسَّعْيُ فيه إِذَا سَعَى كإِصلاح الخلاء.

وَفِي الحَدِيث المَرْفُوع الَّذي رواه التِّرمذيُّ وَغَيْرُه: «مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ؛ شَتَّتَ اللهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَالآخِرَةُ أَكْبَرُ هَمِّهِ؛ جَمَعَ اللهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاه فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ

ينقضي فيها من عِبادة الصَّلاة، وليس مقصورًا على صلاة الجُمعة، كما جاء في آيات سورتِها.

ثُمَّ إِنَّ هذا الَّذي أَوْرده رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى هو القَدْر الَّذي يثبت عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يقول الإنسان إذا دَخل المسجدَ، وفيما يقول إذا خَرجَ.

والأذكار المنقولة عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّائدةُ عن هذا؛ كالتَّسميةِ، أو الصَّلاة على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يثبتُ منها شيءٌ.

إِلَّا حديثًا آخَر؛ وهو «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الكَرِيمْ، وسُلْطَانِكَ القَدِيمْ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمْ**»، فهذا إسنادُه حَسنٌ.

الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»[(١)].

وَقَال بَعْض السَّــلَف: «أَنْت مُحْتَاجٌ إِلى الدُّنْيا، وَأَنْت إِلَى نَصِـيبك مِن الآخرة أَحْوَج؛ فَإِنْ بَدَأْت بِنَصِيبك من الآخرة مُرَّ عَلَى نَصِيبك مِن الدُّنْيا فَانْتَظِمْه انْتِظَامًا».

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذَّاريات] [(٢)].

---

(١) وهو بِهذا اللَّفظ ضــعيفٌ لا يثبت عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإِنَّما يثبت بِلَفظ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ؛ فَرَّقَ اللهُ أَمْرَهُ...» إلى آخرِه.

(٢) قــولــه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: (﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذَّاريات]) إلى آخر الآية: فيه بيان الصِّــلَة بين العِبادة والرِّزقِ، وأَنَّ رِزْقَ الإنســان على حسبِ كمال عِبادتِه، فَكُلَّما كَمَّل الإنسانُ عبادتَه كَمَّل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ رِزْقَه.

فإِنْ قيل: إِنَّنا نرى أُناسًا فقراءَ، وهُم مَنْ هُم في عبادة الله عَزَّوَجَلَّ!!

فالجواب أَنْ نقول: هؤلاء وإِنْ كانوا في الظَّاهر من أهل العَدَم والحاجة، إِلَّا أَنَّ ما رَزَقهم الله عَزَّوَجَلَّ من الإيمانِ، ومِن حظوظِ قلوبِهم بالاســتغراق في مُطالعة أَمْره ونَهْيه، والرِّضــا بِقَدَره وقضــائه = أعظم من الرِّزق الَّذي يَتَرَيَّش به كثيرٌ من النَّاس؛ من المراكِبِ، والملابِس، والمَفاخر.

وأكثر النَّاس أبصارُهم لا تتجاوزُ رِزْق الأجسام والأشباح. **وأعظم من ذلك**: رِزْقُ القلوب والأرواح؛ فإِنَّ المَرْء إذا رُزِق قلبُه بطاعةِ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والتَّلَذُّذ =

فَأَمَّا تَعْيِين مَكْسَبٍ عَلَى مَكْسَبٍ، مِن صِنَاعةٍ، أَو تِجَارةٍ، أَو بِنَايةٍ، أَو حِرَاثَةٍ، أو غَيرِ ذَلك: فَهَذا يَخْتَلِف بِاخْتِلَاف النَّاس، وَلَا أَعْلَم في ذلك شَيْئًا عَامًّا.

لَكِن إِذَا عَنَّ لِلإنسان جِهَةٌ فَلْيَسْتَخِرِ اللهَ - تَعَالى - فِيها الاستخارةَ المُتلَقَّاةَ عَن مُعَلِّم الخَير صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]؛ فَإِنَّ فيها مِن البَرَكَة مَا لَا يُحَاط به.

ثُمَّ مَا تَيَسَّر لَه فَلا يَتكَلَّف غَيْرَه، إِلَّا أَنْ يَكُون مِنه كَرَاهةٌ شَرْعِيَّةٌ.

بالإيمان والعِلْم النَّافع والعمل الصَّالح، كان هذا أعظمَ الرِّزق.

(١) **الاستخارة الشَّرعِيَّةُ** هو أَنْ يركع العبد ركعتين، ثُمَّ يأتِي بالذِّكْر الوارد عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ**...» إلى آخر ما وَرَدَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتَقَدَّمَ في درس يوم الأحد عند إقراء كتاب «تيسير العبادات» لأبي العبَّاس ابن تيميَّةَ: أَنَّ الصَّحيح أَنْ يُؤتَى بِهذا الذِّكْرِ بعد السَّلام؛ لأَنَّ المُصَلِّي لا يكون قد صَلَّى ركعتين حَتَّى يختمها بالسَّلام؛ لقول النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَتَحْرِيمُهَا: التَّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلُهَا: التَّسْلِيمُ**».

فلو أَنَّ إنسانًا صَلَّى ركعتين، ثُمَّ لَمَّا بَلَغَ التَّشَهُّد قام وخرج؛ فلا يكون مُصَلِّيًا ركعتين حَتَّى يختمها بالسَّلام.

ولأجل هذا قِيل: إِنَّ الصَّحيح: أَنَّ الدُّعاء يكون بعد السَّلام.

وَأَمَّا مَا تَعْتمد عَلَيْه مِن الكُتُب فِي العلوم: فَهَذا بَابٌ وَاسعٌ.

وهو - أَيْضًا - يَخْتَلِف بِاخْتِلاف نَشْءِ الإِنْسان في البلاد؛ فقَد يَتَيَسَّر له في بعض البلاد من العِلْم أَو من طَرِيقِه وَمَذْهبِه فيه ما لا يَتَيَسَّر له في بلدٍ آخر.

لَكِن جِمَاعُ الخَيْر: أَنْ يَسْتَعِين بالله - سُبحانه - فِي تَلَقِّي العِلْمِ المَوْرُوثِ عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَإِنَّه هو الَّذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى (عِلْمًا).

وَمَا سِواه:

- إِمَّا أَنْ يَكُون عِلْمًا؛ فَلا يَكُون نَافِعًا.
- وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُون عِلْمًا وَإِنْ سُمِّي بِه.

وَلَئِنْ كَان عِلْمًا نَافِعًا فَلا بُدَّ أَنْ يَكُون فِي مِيراث مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُغْني عَنه مِمَّا هُو مِثْلُه وَخَيْرٌ منه[1].

وَلْتَكُن هِمَّتُه: فَهْمَ مَقَاصد الرَّسُول في أَمْرِه وَنَهْيه وَسَائِر كَلَامه.

فَإِذَا اطْمَأَنَّ قَلْبُه أَنَّ هَذا هُو مُرَاد الرَّسُول فَلا يَعْدِل عنه فِيما بَيْنَه وَبَين الله

---

(١) يعني أَنَّ العلوم الخارجة عن الكتاب والسُّنَّة لا تخلو عن حالين:

- **الحال الأُولى**: أَنْ تكون علومًا نافعةً؛ فإذا كانت علومًا نافعةً فإِنَّ ما في القرآن والسُّنَّة أَنْفعُ منها.
- **والحال الثَّانية**: أَنْ تكون تلك العلوم ليست من جملة العلوم النَّافعة؛ فهذه لا يُلتفَت إليها ولا يُؤبَه بِها.

- تَعَالى - وَلَا مَع النَّاس إِذَا أَمْكَنه ذَلِك.

وَلْيَجْتَهِدْ أَنْ يَعْتَصِمَ فِي كُلِّ بَابٍ مِن أَبْوَاب العِلْم بِأَصْلٍ مَأْثُورٍ عن النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ (١).

(١) ولذلك صَنَّف أهل العِلْم كُتب الحديث المُرَتَّبة على أبواب الدِّيانة.

فتجد أَنَّهم صَنَّفوا في الاعتقاد كُتُبًا: في كُلِّ بابٍ منها حديثٌ شريفٌ يُبنَى عليه الباب، كما فَعَل الهَرَوِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في كتابه «الأربعين في دلائل التَّوحيد»؛ فإِنَّه بَوَّب أبوابًا في الاعتقاد، ذَكَر تحت كُلِّ بابٍ حديثًا شريفًا عن النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وفي الأحكام: صَنَّف أهلُ العلم رَحِمَهُمُٱللَّهُ تعالى؛ فتجدهم تحت كُلِّ بابٍ ذكروا حديثًا أو أكثرَ عن النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كما فَعَل الحافظ عبد الغنيِّ المقدسيُّ في «العُمدة»، وتَبِعَه أبو الفضل ابن حجرٍ الحافظ في كتابه «بلوغ المرام».

وفي أبواب الآداب والرَّقائق: تجد النَّوويَّ رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى قد جَمَعَ «رياض الصَّالحين»، وذَكَر في أبواب الأدب والرَّقائق ما هو أصلٌ من الأحاديث الثَّابتة عن النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فينبغي للطَّالب أَنْ يحرص على حِفْظ المأثور عن النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِمَّا هو عُمَدُ الأبواب.

فإِنَّ الأحاديث النَّبوِيَّةَ منها جملةٌ تُعَدُّ عُمَدَ الباب:

- كـ(حديث جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) الطَّويل في صفة حَجَّة النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ =

وَإِذَا اشْـتبَه عَلَيه مِمَّا قَد اخْتَلَف فيه النَّاس فَلْيَدْعُ بِمَا رَواه مسـلمٌ في «صَـحِيحه» عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أَنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ كان يَقُول إِذَا قَام يُصَلِّي من اللَّيْل: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْـرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيه مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

فَإِنَّ الله – تَعالى – قَد قَال فِيما رَوَاه عَنه رسوله: «يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»[1].

فإِنَّه عُمدةٌ في باب الحجِّ.

- وكـ (حديث وائلِ بن حُجرٍ) في الصَّلاة؛ فإِنَّه عُمدةٌ فيها.
- وكـ (حديث أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ) في الزَّكاة؛ فإِنَّه عُمدةٌ فيها، وهَلُمَّ جَرًّا.

(١) يعني أَنَّ المَفْزعَ الأعظمَ الَّذي ينبغي التَّعويل عليه إذا اشـتبَه على العبدِ شيءٌ من الدِّين: هو سؤالُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الهدايةَ؛ فلذلك كان النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُديمُ ذلك؛ فيسأَل رَبَّه كُلَّ ليلةٍ في صلاة اللَّيل: أَنْ يَهديَه إلى الصِّراط المستقيم فيما اختُلِفَ فيه.

وأكثرُ المُشتغلين بالعِلْم مَحْجُوبُون عن هذا؛ فإِنَّهم إذا اشتبهَ عليهم شيءٌ من العِلْم هَرَعُوا يركضُـون إلى الرُّجوع إلى المَصـادِر المُطَوَّلة؛ فَهُم يَلْتَمِسـون في كلام فلانٍ وفلانٍ من العلماء شـيئًا يُزِيل الإشـكالَ، ويَنْسَـون أَنَّ دَفْعَ الإشـكالِ كُلَّه بِيَدِ =

المُتعَال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فينبغي أَنْ يُوَطِّن المَرء نفسه على سؤال الله عَزَّوَجَلَّ.

ولذلك؛ كان أبو العبَّاس ابن تيميَّةَ - جامعُ هذه الرِّسالة - إذا اسْتَغْلَقَ عليه شيءٌ من العِلْم رُبَّما استغفرَ الله ألفَ استغفارةٍ، وكان يقول: «اللَّهُمَّ يا مُعَلِّم آدمَ وَإبراهيمَ ومُفَهِّم سُلَيْمانَ؛ عَلِّمْني وفَهِّمْني».

فسؤال الله عَزَّوَجَلَّ من أعظم الأسباب الَّتي يُنَال بِها العِلْم.

وكثيرٌ من الطَّلَبة يُعَوِّلُ على قُوَّة حِفْظِه، وجَوْدةِ ذِهْنِه، وينسَى مَدَدَ رَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يكاد يسأل رَبَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التَّوفيقَ فيما يَشْرَع فيه من العِلْم.

وانْظُرْ هذا في نفسك؛ عندما تحضر مثل هذه الدُّروس: هل مَرَّ في خاطِرك أَنَّك تسأل الله عَزَّوَجَلَّ النَّفعَ بِها؟ أَوْ مَرَّ في خاطرك أَنَّك تبتغِي عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ القُرْبَةَ بِها؟

أكثرُ النَّاس محجوبون عن هذه الحقائق.

ولهذا؛ لماذا قَلَّ حَظُّ النَّاس من العِلْم؟ لأَنَّه قَلَّ حَظُّهم من مقصود العِلْم؛ فصار هَمُّ كثيرٍ من النَّاس التَّكَثُّرَ بِهذه العلوم، والتَّسابقَ إلى أَنْ يُقال: (فُلانٌ يحفظ كذا وكذا، أو فلانٌ يعرِف كذا وكذا، أو فلانٌ مِن تلاميذ فلانٍ وفلانٍ)، ويغيبُ عنهم مُلاحظةُ أَنَّ المقصودَ الأعظمَ من العِلْم: أَنْ يُقَرِّبَك إلى الله، وأَنْ يُعَرِّفَك بِرَبِّك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأَنْ يهديَك صراطَه المستقيم. =

وإذا كان هَمُّ طالب العِلْم دائرًا مع هذه المقاصـــد العُظمى، فإِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يفتح له أبواب الفَهمِ.

وإذا كان طالبُ العِلْم محجوبًا بِهذه الحُجُبِ الكثيفةِ - الَّتي ذكرتُ بعضَـها - فإِنَّه يَتْعَب ويشقى ويُبَكِّر ويحضُر، ولكنَّه لا يكون له من العِلْم إِلَّا الحَظُّ اليسير.

قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إِنَّما يحفظ الرَّجل على قَدْر نِيَّتِه».

وقال أبو عبد الله الرُّوذَبَارِيُّ: «العِلْم يُورِث العَمَلَ، والعَمَل يُورِثُ الإخلاصَ، والإخلاص يُورِث الفَهْمَ عن الله عَزَّوَجَلَّ».

فينبغي أن يَتَفَطَّن الإنســان إلى هذه الأمور أكثرَ مِن تَفَطُّنه إلى ماذا يحفظ؟ وإلى ماذا يقرأ على شيخه؟ ويحضرَ عند مَنْ مِن الشُّيوخ؟ يحضر عند شيخٍ مُشارٍ له كي يكون قريبًا منه؛ فيُعرَف به؛ فيُقال: (هذا من تلاميذ فلانِ بن فلانٍ)؟! هذا لا يزيدُك شيئًا، إِنَّما يزيدك مَدَدُ رَبِّك سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وَاعْتَبِرْ هذا في أحوال مَنْ مضـــى؛ تجد صِـــدْق ما ذكرتُ لك، كما قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى: (كلام المُتَقَدِّمين قليلٌ كثير البَرَكة، وكلام المُتأَخِّرين كثيرٌ قليلُ البَرَكة).

فتجد أَنَّ طالب العِلم يقرأ في بعض الكُتب المُصَنَّفة الَّتي كَتَبها المُتَأَخِّرون كي يَتَفَقَّه في دينه، والكلام كثيرٌ، لكنَّ البَرَكة قليلةٌ. وتجد أَنَّ كلام المُتَقَدِّمين رَحِمَهُمُٱللَّهُ تعالى قليلٌ، ولكنَّ بَرَكته ونَفْعه كثيرٌ. =

وَأَمَّا وَصْفُ الكُتُبِ وَالمُصَنِّفِين: فَقَدْ سُمِعَ مِنَّا فِي أَثْنَاءِ المُذَاكرة مَا يَسَّره الله - سُبحانه.

وَمَا فِي الكُتُبِ المُصَنَّفَة المُبَوَّبَة كِتَابٌ أَنْفَعُ من «صَحِيح مُحَمَّدِ بنِ إسماعيلَ البُخاريِّ»، لكن هُو وَحْدَه لَا يَقومُ بِأُصول العِلْم، وَلَا يَقُومُ بِتَمَام المَقْصُود لِلمُتَبَحِّر

وأيُّ شيءٍ أكثرُ وأعظمُ بَرَكةً مِن كلام الله وكلام الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

لذلك؛ إذا صَحَّت نِيَّةُ طالب العِلْم، وكان أعظمَ شُغُلِه الفِكْرُ في كلام الله وكلام الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ = حَصَلت له المَنازل العُليا في الدُّنيا والآخرة.

وليس مرادُنا بـ(المنازل العُليا): مَدْح النَّاس، ولا نَيْل المناصب، ولا أَنْ يكون لك رَسْمٌ وهيئةٌ لا تكون لغيرك، وإِنَّما المَراتب العُلْيَا: أَنْ تكون مِمَّنْ عَرَف الله حَقَّ معرفَتِه.

ولذلك؛ مَنْ عَرَفَ اللهَ لم يَضُرَّه أَنْ يجهلَ غيرَه، ومَنْ جَهِل اللهَ لم ينفعْه أَنْ يعرفَ غيرَه، ومَنْ وَجَدَ الله ماذا فَقَدَ؟! ومَنْ فَقَدَ الله ماذا وَجد؟!

إذا كان تعويل الإنسان على رَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حصلت له الكِفاية التَّامَّة، والرِّعاية العَامَّة، وإذا كان تعويلُه على أسباب القُوَّة؛ كقُوَّة حِفْظه، وجَوْدة فَهْمه، ومَنْ يحضر عنده من المَشيخات، وما يقتني من الكُتب، وما يُطالِع من التَّصانيف: فإِنَّها لا تزيده شيئًا.

وسيأتِي مِن كلام أبي العبَّاس ما يُشير إلى بعض ما ذكرتُ.

فِي أَبْواب العِلْم؛ إِذْ لَا بُدَّ مِن مَعْرِفة أَحَادِيث أُخَر.

وَكَلامُ أَهْل الفِقْهِ وَأَهْلِ العِلْم فِي الأُمور الَّتي يَخْتَصُّ بِعِلْمِها بَعْضُ العلماء.

وَقَد أَوْعَبتِ الأُمَّة فِي كُلِّ فَنٍّ مِن فُنُون العِلْم إِيعَابًا، فَمَنْ نَوَّرَ الله قَلْبه هَدَاه بِمَا يُبَلِّغُه من ذلك، وَمَنْ أَعْمَاه لَم تَزِدْه كَثْرَةُ الكُتُب إِلَّا حَيْرَةً وَضَلَالًا»[1].

---

(١) اسمعْ بقلبٍ حاضرٍ قولَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَد أَوْعَبتِ الأُمَّةُ...) وما بعده.

فعاد الأمر إلى تنويرِ اللهِ لقلب العبد؛ فإذا نَوَّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قلبَ عبدِه هَدَاه بما بَلَغه من العِلْم، وفَتَقَ لسانَه بأنواع الفَهْم.

وإذا لم يجعلِ الله له نُورًا فما له مِن نورٍ، وإنَّما تزيدُه كَثْرةُ الكُتب حَيْرةً وضلالًا.

وتَأَمَّلْ حال الرَّجُل الَّذي كان مشهورًا بالعِلْم في بلاد القَصيمِ، ثُمَّ غَرَّتْه قِواه، وأُعجِبَ بِحِفْظِه وقُوَّة فَهْمِه، كما يلمَسُه الإنسانُ من ثنائه على نفسه في كُتبه الموجودة بيد النَّاس، حَتَّى انقلبَ على عَقِبِه وانخلعَ من الإسلام بالكُلِّيَّة.

فلم تنفعْه كُتبُه ولا تصانيفُه ولا ذكاؤُه ولا فَهْمُه؛ حَتَّى قِيل إِنَّه كان يحفظ «صحيح البخاريِّ»! وأَنَّ أكثرَ كتابٍ كان يصطحِبُه معه هو «صحيح البخاريِّ»!

لكن لَمَّا سَرَى إلى قلبه عِلَلٌ من العِلل العظيمة الَّتي تُضِرُّ بصاحبها كـ(الكِبْرِ، والحسد، ورؤية النَّفس) أَظْلَمَ قلبُه بِها؛ فلم يجعلِ الله له نورًا؛ فانقلَب على عَقِبَيْه، وارتدَّ عن الدِّين بالكُلِّيَّة. =

كما قال النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِابن لَبيدٍ الأنصاريِّ: «**أَوَلَيْسَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى؟! فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟!**»[(١)].

فَنَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ أَنْ يَرْزُقَنا الهُدَى والسَّدادَ، وَيُلْهِمنا رُشْدَنا، وَيَقِيَنَا شَرَّ أَنْفُسِنا،

وهذا يُوجِب على طالب العِلْم - كما ذكرتُ سابقًا -: أَنْ يُكثِر سؤالَ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الهدايةَ والتَّوفيقَ، وأَنْ يُنَوِّرَ له قلبه.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُنَوِّر قلوبنا وقلوبكم بالإيمان.

(١) هؤلاء هُم اليهود والنَّصارى بأيديهم كُتبُهم، لكنَّها لم تنفعْهم شَيئًا؛ لأَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يجعلْ لهم نُورًا.

وهكذا؛ لا يفتخِرُ الإنسانُ بأَنَّ عندَه مكتبةً كبيرةً؛ فما تُغنِي عنك هذه المكتبة إذا لم يجعل الله لك نورًا؟!

وإذا تَأَمَّلْتَ كثيرًا مِن أحوال أهل العِلم الَّذين بَلغوا الغايةَ، لا تجدُ عندهم إلَّا كُتبًا قليلةً، لكنْ قلوبُهم مُنَوَّرةٌ، وقد أخذوا العِلْم بأصوله؛ فزادهم الله عَزَّوَجَلَّ عِلْمًا، وفَتَقَ على أَلسِنَتِهم فَهْمًا.

فإِنَّك تسمَعُ مِن أحدِهم كلامًا، ثُمَّ تجدُه في كتابٍ، وأنتَ تقطَعُ بأنَّ هذا الكتابَ ليس مِن جملة مكتبةِ الشَّيخ لأَنَّك بها عَالِمٌ، وما حَصَل بينهما من الاتِّفاق لأَنَّ المُعطِي واحدٌ، وهو الرَّبُّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فلمَّا بَلَغ في قلوبِهم الهُدى والنُّورُ أعطاهم الله عَزَّوَجَلَّ بقَدْرٍ واحدٍ.

وَأَنْ لَا يُزِيغ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذ هَدَانا، وَيَهَبَ لَنَا مِن لَدُنْه رَحْمةً، إِنَّه هُو الوَهَّاب.

وَالحَمْد لله رَبِّ العَالمين، وَصَلَوَاتُه عَلَى أَشْرَف المُرْسَلينَ [١].

(١) وبِهذا كَمُل إقراءُ الكتاب العشـــرين، وبه بَلَغ القَدْر مِن الكُتُب الثُّلثَان - بِحَمْد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ -، ونسأله المَزيدَ من فضله.

نسأل الله أَنْ يُوَفِّق الجميع لِما يحبُّ ويرضى.

والحمد لله ربِّ العالمين.

تَمَّ إقراء الكتاب فِي مَجلسٍ وَاحِدٍ
بعد العشاء ليلة الأربعاء الثَّامن من شهر ربيع الآخر
سَنَةَ ثلاثٍ وعشرين بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ
فِي جامع الإيمان بحي النَّسيم بِمَدِينَةِ الرِّياض

فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد